الفصل الثالث

البرديات الطبية

توجد برديات طبية كثيرة تتفاوت فى أهميتها ويمكن تقسيمها إلى نوعين أحدهما نستطيع أن نطلق عليه لفظ المؤلفات الطبية . والنوع الآخر تلك المجموعات من الرقى والتعاويذ السحرية النافعة ، حسب الاعتقاد السائد عند قدماء المصريين فى طرد الأمراض من الجسم ، ومن الأسف أننا لانعرف أسماء أشخاص معينين كتبوا مؤلفات معينة. فقد ورد ذكر بعض الآلهة والملوك القدماء والحكماء مثل « أيموحتب » بأنهم وضعوا كتبا طبية . ولكننا لا نملك حتى الآن الدليل القاطع على نسبة جزء مما وصل إلينا من البرديات الطبية إلى واحد منهم .

أما تاريخ كتابة هذه **المؤلفات الطبية** فى قراطيس البردى فيرجع على الأقل إلى الجزء المبكر من أيام الدولة القديمة كما ترجع بعض البرديات التى وصلت إلينا إلى أيام الدولة الوسطى – وليس لدينا أى شك فى أن أجزاء كثيرة من البرديات الشهيرة – التى وصلتْ إلينا نُسخٌ منها من أيام الدولة الحديثة – إنما نقلت من برديات أقدم منها عهْداً – وعلى أى حال يمكننا القول بأن أكثر البرديات الطبية المعروفة الآن قد كتبت نسخها فى الفترة الواقعة بين عامى (١٨٠٠-١٢٠٠ ق . م)

وهناك عدد كبير من أجزاء صغيرة من برديات طبية فى مجموعات خاصة

وفى بعض المناطق مثل باريس وتورين ، بودابست وروما (متحف الفاتيكان) ولندن وبرلين وكثير منها ثانوى الأهمية لأن أكثر مافيها تعاويذ سحرية .

وأهم البرديات الطبية التى ترجع إلى أيام العصر الفرعونى تسع وهى :

١ – **بردية اروين** سميث الجراحية .

٢ **بردية إيبرس**

٣ – **بردية برلين** الطبية ويرجع تاريخها إلى أيام الأسرة التاسعة عشرة وتحتوى على (٢٠٤) فقرة وتشبه فى مجموعها محتويات برديتى إيبرس ، وهرست .

٤ **بردية تشستر بيتى الطبية** : Chester-Beaty وهى فى المتحف البريطانى الآن ويرجع تاريخها إلى أيام الأسرة التاسعة عشرة ، وتحتوى على وصفات طبية وتعاويذ سحرية وعلى أحد وجهيها عدد من الوصفات المختلفة لعلاج الأمراض التى تصيب الدبر والمستقيم .

٥ **بردية كارلزبرج** : وهى محفوظة الآن فى متحف كوبنهاجن ويرجع تاريخ هذه النسخة إلى حوالى عام ١٢٠٠ ق . م . وموضوعها فى « طب العيون » وتكاد تكون صورة من القسم الخاص بباب أمراض العيون فى بردية ايبرس .

٦ – **بردية كاهون** : عثر عليها فى أطلال مدينة **هرم اللاهون** بالفيوم عام ١٨٨٩م ويرجع تاريخها إلى أيام الدولة الوسطى . أى أنها أقدم البرديات الطبية .

وفى أحد أجزائها ذكر مؤلف البردية سبع عشرة علامة للتأكد من الحمل وبيان نوع الجنين .

٧ – **بردية لندن الطبية** : وهى الآن فى المتحف البريطانى – ويرجع تاريخها إلى النصف الثانى من الأسرة الثامنة عشرة . ومن المعروف عن هذه البردية أنها مكتوبة بخط ردىء بحيث يصعب قراءة بعض فقراتها خاصة **بالتعاويذ** السحرية التى تنفع فى شفاء بعض الأمراض .

٨ – **بردية ليدن** : وتمتاز هذه البردية بأن مؤلفها ذكر عددا من القواعد للوقاية من الأمراض وَوَقف تطورها كما ذكرتْ أيضا وسائل لمنع انتشار العدوى .

٩ – **بردية هرست** : Hearst وقد عثر عليها عام ١٨٩٩ فى الخرائب الغربية من بلدة دير البلاص بمحافظة قنا – وهى محفوظة الآن فى متحف جامعة كاليفورنيا ، وعلى الرغم من تمزق حواف هذه البردية فإنها محفوظة جيداً وبها ٢٥٠ فقرة .

وهى على الأرجح من أيام الملك تحتمس الثالث وأكثر ماجاء فيها منقول من الكتاب الأصلى الذى نقل عنه جامع محتويات بردية إيبرس .

– وإلى جانب هذه البرديات الشهيرة التى يرجع تاريخها إلى العصر الفرعونى نجد برديات طبية أخرى من عصور أحدث عهداً ربما كان أشهرها جميعا البردية المعروفة **ببردية لندن** – ليدن – الديموطيقية وهى مكتوبة بالديموطيقية ، ويرجع تاريخها إلى القرن الثالث الميلادى .

وأكثرها تعاويذ سحرية لشفاء المرضى ولكن يوجد بها عدد قليل من الوصفات الطبية لعلاج بعض الأمراض .

وهناك أيضا برديات مكتوبة باللغة القبطية وأهمها البردية المشهورة باسم **بردية المشايخ** لأنه عثر عليها فى القرية المعروفة بهذا الاسم فى محافظة سوهاج

ويرجع تاريخها إلى أيام القرن التاسع أوالعاشر الميلادى . ونرى أنها مدونة على نفس النظام والأسلوب الذى كان فى أيام الفراعنة ولكن دخلتها أيضا بعض التأثيرات والعناصر اليونانية والعربية - وهناك أيضا عدد آخر من برديات طبية مكتوبة باللغة القبطية ولكنها أقل أهمية وهى فى متاحف أوربا وأمريكا المختلفة .

وقد عنى العالم الألمانى (ف - تل) بدراسة الطب فى العصر القبطى سواء ماكان مكتوبا باللغة القبطية أو باللغة العربية . وخرج من ذلك بنتيجة هامة وهى أن الأقباط لم ينقلوا نقلا حرفيا عن أجدادهم فى العصر الفرعونى بل أضافوا الشيء الكثير وكانت لهم طرق أخرى ووصفات خاصة فى علاج بعض الأمراض .

بردية أدوين سميث الجراحية :

عثر على هذه البردية الشهيرة عام ١٨٦٢ مع بردية « إيبرس » الطبية وهى الآن فى حيازة الجمعية التاريخية فى نيويورك - حيث ظلت تفصيلات محتوياتها مجهولة حتى قام بنشرها وترجمة نصوصها العالم الأمريكى (برستد) (جيمس هنرى) فى عام ١٩٢٢ - وطبعت مرة أخرى فى عام ١٩٣٠ وكان طولها الأصلى نحو ثمانية أمتار ، ولم يبق منها إلا ٤.٥٨ من المتر ، وتحتوى على ٤٦٩ سطرا ويرجع تاريخها مثل بردية (إيبرس) إلى منتصف القرن السادس عشر قبل الميلاد .

ويشمل الجزء الأول منها ٤٨ مشاهدة فى الجراحة وبخاصة جراحة العظام ومقسم تبعا لأجزاء الجسم ، إذ تبدأ من الرأس ثم الأنف وبعد ذلك يأتى الفك ويليه فقرات الرقبة وفقرات الظهر ثم الأضلاع ثم الصدر فالترقوة فالكتف

واللوح واليدين ويأتى بعد ذلك العمود الفقرى ، ونظراً لأن العبارة الخاصة بالعمود الفقرى غير كاملة فمن المرجح أن البردية كانت كاملة وأنها لم تقتصر على أعضاء الجسم السابقة بل كانت تتناول الجسم كله .

● **أقدم ماكتب فى العالم عن الجراحة :**

وفى رأس بوستد أن هذا الجزء من البردية **أقدم ماكتب فى الجراحة فى العالم** – كما أن المختصين فى تاريخ الطب يعتبرونه نقطة التحول بَيْن فَنّ العلاج وعلم الطب . ذلك لأن محتويات هذه البردية تثبت أن مؤلفها لم يكن شخصاً يؤمن بالسحر أو بالكهانة ، بل كان طبيبا يراقب مرضاه الليالى الطويلة ويرقب ويبوب مايلاحظه عليهم أثناء المرض بل إنه كثيرا ماكان يشرح الجسم بعد الوفاة لمعرفة السبب .

وكان الرأى السائد هو أن مؤلف هذه البردية حصل على معلوماته من إحدى الحروب ، بل كان هناك ميل إلى أن هذه الحرب كانت حرب طرد الهكسوس من مصر ، ولكن هناك رأياً آخر تقدم به العالم المصرى **الدكتور محمد كامل حسين** جراح العظام الشهير وهو يرجح أن مؤلفها كان يشرف على معالجة العمال الذين كانوا يقومون بتشييد أحد الأهرامات والذين كانوا يتعرضون بحكم عملهم للإصابات المختلفة .

وإلى جانب هذا الجزء من البردية توجد أجزاء أخرى مثل – علاج أمراض المستقيم وفيها أيضا تعاويذ سحرية مختلفة كما توجد وصفة خاصة لدواء يعيد الشباب إلى الشيوخ .

بردية إيبرس :

أشهر البرديات الطبية وأطولها عثر عليها عام ١٨٦٢ وحصل عليها الدكتور « ايبرس » Ebers عالم الآثار الألمانى المعروف عام ١٨٧٣ وحملها معه إلى جامعة ليبزج وكان أول من نشر نصوصها (ظهرت عام ١٨٧٥) وهى مازالت حتى الآن فى حالة جيدة وعلى أحد وجهيها النصوص الطبية والسحرية الشهيرة ، وعلى الوجه الآخر نصوص خاصة « بالتقويم المصرى » .

ويرجع تاريخ كتابة هذه البردية إلى بداية الأسرة الثانية عشرة (القرن السادس عشر ق . م .) ولكن دراستها من الناحية اللغوية لاتترك مجالا لشك فى أن كاتبها جمع مافيها من عدة برديات طبية من عهد الدولة الوسطى وربما قبل ذلك .

وليست بردية ايبرس كتابا طبيا مقسما إلى أبواب أوفصول ، ولكنها مجموعة من أكثر من أربعين مصدرا مختلفا يتناول بعضها وصفات طبية لبعض الأمراض وطريقة فحصها ومعالجتها ، ومن بينها عدد كبير من أمراض النساء كما نجد فيها الكثير من التعاويذ السحرية التى ذكر عنها صاحب البردية أنها تنفع فى شفاء بعض الأمراض وطرد الأرواح الشريرة التى سببتها .

– والبردية تحتوى على ١١٠ من الأعمدة وفيها ٨٧٧ وصفة أو باباً فى الأمراض المختلفة تعرف أسماء أكثرها فى اللغة القديمة ، ولكن المصريين لم يضعوا تشخيصا محدَّداً لها ، ولهذا السبب مازلنا حتى الآن غير متأكدين من أسماء بعضها . إلا أنهم كانوا يصفون دائما العلاج ويحددون كمية كل دواء يذكرونه وطريقة تناوله .

وقد أثبتت دراسة هذه البردية أن بعض أجزاء منها مقتبسة من مؤلف طبى

كبير نجد أجزاء منه فى برديات طبية أخرى مثل بردية « إدوين سميث » و « بردية كاهون » ومعظم تلك الأجزاء المقتبسة والتى توجد فى هذه البردية خاصة بأمراض المعدة ، ووظيفة القلب وأوعية القلب والعمليات الجراحية الخاصة بالأورام والبثور والدمامل .

– هكذا كانت لدراسة الطب قواعد ملزمة ، إذ يقول مؤلف بردية ايبرس : (إنى قد تخرجت من هليوبوليس مع أمراء البيت الكبير . . إنى قد تخرجت فى (سايس) غرب الدلتا فى صحبة أمهات الآلهة ، وقد أسبغن علىّ حمايتهن وذلك كى أطرد جميع الأمراض .

– وهذا دليل على وجود مدارس طبية كانت – أغلب الظن – ملحقة بالمعابد فى كل من هليوبوليس وسايس وغيرهما .

– عرفت مصر **الأطباء المتخصصين** منذ أقدم العصور ، وقد أوضحت البرديات الطبية مراحل تخصصاتهم ، ولعل من أشهر الأطباء المصريين فى ذلك الوقت على سبيل المثـال ايموحتب وزير الملك زوسر « الأسرة الثالثة » القرن ٢٨ قبل الميلاد – والذى ألهٌ فى العصور المتأخرة ، وأطلق اليونانيون عليه اسم اسكليبوس إله الطب عندهم ، وهناك أيضا رئيس الأطباء (ايرى) من الدولة القديمة – والذى تخصص فى أمراض العيون .

– ويؤكد هيردوت أن فن الشفاء فى مصر كان منقسما إلى أقسام ، كل طبيب يختص بقسم فيها ، فهناك طبيب العيون وطبيب الرأس ، وطبيب الاضطرابات الداخلية .

– ومعروف أيضا أن هناك أطباء لعلاج الناس جميعا ، وأطباء للجيش وأطباء للقصور الملكية إلى جانب الأطباء المتخصصين كأطباء العيون والأسنان

والجراحة . وقد وجدت فئة من الكهنة يمكن أن يطلق عليهم أطباء العقاقير وهم الذين اختصوا بالعلاج بالعقاقير وتلاوة الأدعية . كما وجدت طبقة ثالثة اختصت باللفائف (أوت) باللغة المصرية أى المحنطين .

– وقد لعبت الآلهة والأرباب دورا هاما فى الطب فهناك الإلهة **ايزيس** التى « تهب الشفاء » والتى شفت ابنها الإله حورس من كل جراحه . وكانت مهتمة بشئون السحر . وهى التى شفت الإله رع من صداع فى رأسه . وقد ذكر **ديودور الصقلى** أنه بفضل معرفتها للعقاقير الطبية وإجادة استعمالها تمكنت من إعادة الحياة إلى زوجها أوزوريس وهناك أيضا الإلهة « سخمت » ربة الجراحة وحامية الجراحين وهناك **خنوم** الإله الخالق حامى الحوامل والمختص بشئون الولادة ، وهناك كذلك الإله أنوبيس رب التحنيط والعقاقير الطبية ثم الإله تحوت إله العلم والحكمة ، ونسب إليه اليونان اختراع الصيدلة والطب ، وأخيراً هناك الطبيب المهندس **ايموحتب** الذى أله فى العصور المتأخرة .

وانقسم العلاج عند المصريين القدماء إلى قسمين : علاج ماهو ظاهر وعلاج ماهو باطن ، ويَتَمثَّل الأول فى العمليات الجراحية البسيطة والكسور ، ويتمثل الثانى فى الأمراض الباطنية .

ويتميز الأول بالخبرة والمهارة والملاحظة الدقيقة لوظائف أعضاء الجسم ، أما الثانى فيعتمد على الأدوية والعقاقير والسحر الذى اعتبر نوعاً من أنواع العلاج النفسى لإتمام عملية الشفاء .